الردّ آتٍ والصراع مستمر.. قراءة فلسفية في خطاب الشيخ نعيم قاسم

الوفاق
د. أكرم شمص

جاء خطاب الشيخ نعيم قاسم في تأبين القائد الجهادي أبو علي الطبطبائي ورفاقه بوصفه نصًا يتجاوز الإطار السياسي المعتاد، ليقدّم رؤية فلسفية عميقة حول معنى الشهادة والمقاومة والوجود. ورغم أن المناسبة حملت طابع الحزن، إلا أن الخطاب بدا أقرب إلى إعلان فكر جديد يعيد تعريف الزمن والهوية والقوة، ويحوّل التأبين إلى قراءة وجودية للصراع، وإلى تثبيت معادلات استراتيجية تتصل بمستقبل المواجهة مع العدو الصهيوني.

الشهادة كتحقّق وجودي لا كفقدان

قدّم الشيخ نعيم الشهادة في بُعدها الأنطولوجي، لا بوصفها رحيلًا جسديًا بل اكتمالًا للمعنى الإنساني. حين يقول: «الشهادة هي مبتغاه... هو ربحها»، فهو يعيد صياغة الموت باعتباره لحظة تجلٍّ للوجود الأصيل، وعودة إلى الجوهر الأول الذي يتجاوز الزمن ويتخطّى حدود الفناء. الشهيد في هذا التصور لا يبقى فردًا انتهى، بل يتحول إلى رمز حي، وإلى فكرة لا تُقاس بالعمر بل بالأثر. هكذا تصبح الشهادة حضورًا مستمرًا في الذاكرة والجماعة، وتتحول من خسارة إلى فعل تأسيسي يعيد إنتاج القوة داخل التجربة المقاومة.

الزمن الدائري وفلسفة الاستمرار المقاوم

يركّز الشيخ نعيم على عبارة الشهيد «المقاومة ولّادة»، وهي مفتاح لفهم رؤيته الفلسفية. فالمقاومة، كما يقدّمها، ليست خطًا مستقيمًا ينتهي بغياب قائد، بل زمن دائري يولد فيه الجديد من القديم، وتستمر فيه الفكرة رغم تغيّر الوجوه. بهذا المعنى، لا يشكّل الاغتيال قطعًا للمسار بل مرحلة تُضاف إلى حلقاته، وتغنيه بطبقة جديدة من المعنى. وهذه الرؤية تتعارض مع التصور الغربي للزمن الذي يراه خطيًا ومنتهيًا، فيما تلتقي مع الفلسفة الإسلامية التي ترى الجماعة ككيان يتجدّد باستمرار. من هنا يظهر المشروع المقاوم كوجود لا يموت، بل يعيد إنتاج ذاته عبر الذاكرة والإيمان والفعل المتواصل، ليصنع استمرارية تتجاوز الأفراد وترتكز إلى روح الجماعة وإرادتها.

القائد كرمز واستمرار الفعل المقاوم

قدّم الشيخ نعيم قاسم الشهيد أبو علي الطبطبائي بوصفه امتدادًا لنموذج "القائد الشهيد" في مدرسة المقاومة، حيث تتداخل قيم الإيمان والانضباط والاحتراف العسكري مع القدرة على التخطيط وإدارة المعارك الحسّاسة في لبنان وسوريا واليمن. هذا التقديم لا يهدف إلى الرثاء، بل إلى تثبيت فكرة أن الاغتيال لا يكسر بنية القيادة، لأن المقاومة — كما قال — «ولّادة». فالقائد هنا ليس فردًا معزولًا، بل حلقة في زمن دائري تتجدّد فيه التجربة وتتواصل فيه المهمة. ومن خلال هذا البناء، يظهر أبو علي كالعقل العسكري لمعركة «أولي البأس»، لا كعنصر ميداني فحسب، ما يجعل استشهاده تحوّلًا في المعنى لا انقطاعًا في المسار.

الاغتيال بين الخسارة والردع

اعترف الشيخ نعيم بالخسارة المعنوية التي أحدثها الاغتيال، لكنه أعاد صياغته كجزء طبيعي من مسار الصراع، لا كضربة بنيوية. وأكّد بوضوح: «هذا اعتداء سافر وجريمة موصوفة، ومن حقّنا الردّ... سنحدّد التوقيت لذلك»، ليضع قاعدة أن الردّ محسوم لكن إدارته عقلية واستراتيجية. كما تناول احتمالات الاختراق الأمني ضمن سياق واسع من التداخلات الإقليمية والاستخباراتية، مؤكدًا أن الثغرات لا تعني انهيارًا. وفي عرضه لفلسفة الردع، قدّم القوة بوصفها "حضورًا" يمنع العدو الصهيوني من الاستقرار لا مجرّد عمل عسكري، مؤكّدًا أن المقاومة «كينونة» مستمرة تحوّل الخسائر إلى طاقة، وأن الاغتيال — رغم قسوته — يتحول في النهاية إلى رافعة جديدة تستمد منها الجماعة صلابتها ووعيها.

تحويل الاستهداف إلى معركة على هوية لبنان

يُعيد الشيخ نعيم قاسم في خطابه رسم خريطة الصراع، ناقلًا الحدث من كونه اغتيالًا يستهدف فردًا أو تنظيمًا، إلى كونه اعتداءً شاملًا على لبنان بكل مؤسساته ومرتكزاته السيادية. فالعدوان — كما يحدد — يطال رئاسة الجمهورية والجيش والاقتصاد والبنية الاجتماعية والقرار السيادي، ما يعني أن العدو الصهيوني لا يواجه "المقاومة" فحسب، بل يواجه لبنان الدولة والوجود والهوية. هذا التحوّل الخطابي يحوّل الصراع من طابعه الفصائلي إلى إطار وطني جامع، ويمنع العدو من الاستثمار في الانقسامات الداخلية. وفي السياق نفسه، يذكّر الشيخ نعيم بأن اتفاق وقف إطلاق النار في ٢٧ تشرين الثاني ٢٠٢٤ كان ثمرة صمود ميداني لا نتيجة مفاوضات أو تنازلات، ما يجعله "انتصارًا سياسيًا" موازياً للإنجاز العسكري. كذلك يعيد تعريف القوة من منظور فلسفي عبر ثلاثية الردع: التحرير، الحماية، ومنع الاستقرار، مؤكدًا أن جوهر القوة يكمن في الحضور والقدرة على شلّ العدو لا في إطلاق النار وحده. ومن هذا المنطلق، تتحول السيادة إلى ممارسة فعلية للحرية: الحق في تحديد نمط الحياة ورسم الحدود بقرار داخلي لا بإملاء خارجي. وحتى في مقاربته للاختراقات الأمنية، يضع الشيخ نعيم المسألة ضمن واقع الساحة اللبنانية المفتوحة والخاضعة لتداخل استخباراتي دولي، محوّلًا الاعتراف بالثغرات إلى عنصر إدارة أزمة لا إلى إقرار بانهيار. بهذه الرؤية، يصبح الاغتيال فرصة لإعادة وضع الصراع في إطاره الحقيقي: صراع على هوية لبنان ومستقبله، لا على دور المقاومة وحده.

نظرية الردع الثلاثي

يقدّم الشيخ نعيم قاسم مقاربة شاملة لمفهوم الردع، تقوم على ثلاث مراحل تاريخية ترسم تطوّر موقع المقاومة في الصراع: الردع بالتحرير عام ٢٠٠٠ الذي أخرج الاحتلال من الجنوب بالقوة الميدانية؛ ثم الردع بالحماية بين ٢٠٠٦ و٢٠٢٣ عبر معادلة الصواريخ التي منعت العدو الصهيوني من شنّ حرب جديدة؛ وصولًا إلى المرحلة الثالثة والأكثر تعقيدًا، أي الردع بمنع الاستقرار منذ ٢٠٢٣، حيث تعمل المقاومة على شلّ قدرة العدو على التمركز وإبقائه في حالة ارتباك دائم. هذه المرحلة لا تُعرّف المقاومة كمَن "ينتظر الحرب"، بل كفاعل يمنع تشكّل بيئة الحرب لدى العدو، ما يجعل استقراره مستحيلًا في ظل وجود المقاومة. وفي هذا الإطار، يطرح الشيخ نعيم معادلة جديدة تُحمّل الدولة مسؤولية واضحة في حماية السيادة ومواجهة العدوان وإدارة المشهد الجنوبي، مع تأكيد جاهزية المقاومة للتكامل معها من دون أن يكون ذلك على حساب قوة لبنان أو وفق أجندات خارجية. ومع تزايد التهديدات، يوضح الشيخ نعيم أن العدو الصهيوني غير قادر على خوض حرب أو تحقيق أهدافه، وأن ما يجري هو ضغط سياسي أكثر منه واقع حرب، ما يجعل الردع الثلاثي إطارًا لفهم الحاضر، وآلية لضبط التوازن بين الدولة والمقاومة، ومفتاحًا لتجنّب مواجهة كبرى عبر منع العدو من الوصول إلى لحظة الاستقرار.

المقاومة لا تريد الحرب لكنها مستعدة لها

يُغلق الشيخ نعيم قاسم خطابه بتوازن دقيق بين التمسّك بالسيادة ورفض الانجرار إلى حرب شاملة، مؤكدًا أنّ المقاومة لا تبحث عن المواجهة، لكنها جاهزة لها إن فُرضت. فهو يحمّل الدولة مسؤولية مباشرة في حماية الجنوب ومنع الاستقرار الصهيوني سياسيًا وأمنيًا، مع فتح باب التكامل المشروط بين الجيش والمقاومة من دون المسّ بمعادلة القوة أو الخضوع لأي ضغط خارجي يستهدف سلاحها. وفي تحديده للحل، يعلن بوضوح أنّ المخرج الوحيد هو وقف العدوان لا وقف المقاومة، داعيًا الحكومة إلى إعداد خطة مواجهة وطنية إذا استمر الاعتداء. ويقدّم في ختام خطابه ثلاث رسائل متوازية: لا استسلام لأن "قرار العز بأيدينا"، ولا حرب مجانية لأن العدو عاجز عن تحقيق أهدافه، ولا تنازلات لأن الشعب قوي والمقاومة ثابتة والعدو مأزوم. هكذا تتحول الخسارة إلى تثبيت للردع، وتنقلب العملية من ضربة ميدانية إلى فرصة لتوحيد الجبهة الداخلية وتوسيع معادلة القوة. وفي البعد الفلسفي، يؤكد الشيخ نعيم أن الألم جزء من شروط الوجود، وأن الأمل قرار يبني المستقبل، لتغدو المقاومة فلسفة حياة لا مجرد مشروع عسكري — فلسفة تجعل الاستعداد للحرب شرطًا لصناعة السلام، وتجعل الثبات في وجه الاغتيال إعلانًا لمرحلة جديدة من الصراع لا قدرة للعدو على كسرها.

طفلان شهيدان بخان يونس جزاء العدوان الصهيوني

«سرايا القدس» تنفذ عمليات ضدّ قوات العدو في الضفة المحتلة

كثّف جيش الاحتلال الصهيوني، فجر وصباح السبت، قصفه البري والبحري والجوي على أنحاء متفرقة من قطاع غزة، تقع ضمن المناطق التي يحتلها، ما أدى إلى وقوع شهيدين اثنين، بينما دعت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) الوسطاء إلى التحرك لوقف خروقات الكيان الصهيوني لاتفاق وقف النار.

في حين أعلنت سرايا القدس، الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، عن تنفيذ سلسلة من العمليات خلال تصديها لاقتحامات "جيش" الاحتلال الصهيوني مدناً وبلدات في الضفة الغربية المحتلة.

وتتواصل العملية العسكرية التي ينفذها جيش الاحتلال الصهيوني في مدينة طوباس وبلدتي عقابا وتياسير شمال الضفة الغربية المحتلة لليوم الرابع على التوالي.

قصف بري وبحري وجوي على القطاع

في التفاصيل، أفاد مصدر بمستشفى ناصر الطبي باستشهاد طفلين بنيران الاحتلال في بلدة بني سهيلا داخل الخط الأصفر شرقي خان يونس.

من جهته، أفاد الإسعاف والطوارئ بإصابة ٣ فلسطينيين إثر قصف مدفعي وجوي صهيوني داخل الخط الأصفر في بلدة القرارة شمال شرقي مدينة خان يونس.

يأتي ذلك في إطار خروقات جديدة لاتفاق وقف إطلاق النار الذي دخل حيز التنفيذ في ١٠ أكتوبر/تشرين الأول الماضي.

وأفادت وسائل إعلام بأن طائرات صهيونية شنت غارات داخل الخط الأصفر في حي التفاح شرقي مدينة غزة صباح السبت.

كما أفادت مصادر محلية بأن غارات صهيونية استهدفت شرقي مدينة رفح جنوبي قطاع غزة، في حين أطلق الطيران المروحي الصهيوني نيران رشاشاته على بلدتي بني سهيلا والقرارة شرقي خان يونس جنوبي قطاع غزة. ووفق شهود عيان طال القصف أيضا المناطق الشرقية من مدينة غزة وبلدة بيت لاهيا (شمال)، والمناطق الشرقية من مخيم البريج (وسط).

خروقات وضحايا

يأتي ذلك بعد يوم من إعلان مجمع ناصر الطبي استشهاد فلسطيني بنيران مسيرة صهيونية داخل الخط الأصفر في بلدة بني سهيلا.

وفي ردها على هذه التطورات، دعت حركة حماس، الوسطاء والدول الضامنة لاتفاق وقف إطلاق النار في قطاع غزة إلى التحرك "بشكل جاد" لوقف ما قالت إنها خروقات صهيونية متواصلة للاتفاق، عبر استمرار القصف على مناطق مختلفة من القطاع.

وقالت الحركة، في بيان للمتحدث باسمها حازم قاسم، إن" الجيش" الصهيوني كثّف قصفه البري والبحري والجوي خلال الليل، وواصل عمليات الهدم، في "امتداد لعدوانه الذي لم يتوقف".

وأضاف البيان أن قصفا صهيونيا شرق خان يونس أدى صباح السبت إلى استشهاد طفلين شقيقين، وهما فادي وجمعة أبو عاصي، بعد استهدافهما قرب مدرسة الفارابي في بلدة بني سهيلا، وفق مصادر طبية في مستشفى ناصر.

وأشار قاسم إلى أن هذه التطورات تؤكد أن "حرب الإبادة مستمرة ضد أهالي القطاع، وأن إطلاق النار لم يتوقف وإنما تغيّرت وتيرته"، داعيا مصر وقطر والدول المشاركة في اجتماع شرم الشيخ إلى إلزام الكيان الصهيوني بتعهداتها وفق الاتفاق.

اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني

هذا وفي اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني، دعت حركة حماس إلى تصعيد الحراك الجماهيري العالمي ضد الكيان الصهيوني، منددةً باستمرار خروقات الاحتلال لاتفاق وقف إطلاق النار في غزة، وتصعيده في الضفة الغربية والقدس.

ودعت حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، إلى تصعيد الحراك الجماهيري العالمي ضد الاحتلال الصهيوني وممارساته، تزامناً مع اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني، الذي يصادف في التاسع والعشرين من تشرين الثاني/نوفمبر من كل عام.

وأشارت الحركة، في بيان، إلى أنّ هذه المناسبة تتزامن هذا العام، بعد مرور نحو خمسين يوماً على تنفيذ اتفاق وقف إطلاق النار في قطاع غزة، والذي يواصل الاحتلال خرقه بشكل متعمد وسافر، عبر قصف مدفعي وجوي واغتيالات ميدانية، ومنع إدخال المساعدات الإنسانية إلى القطاع المحاصر.

وشدّدت "حماس" على أنّ حكومة الاحتلال تصعّد من عدوانها ومخططاتها الاستيطانية والتهويدية في الضفة الغربية والقدس المحتلتين، في انتهاك صريح للقانون الدولي والمواثيق الأممية، ومن دون أي رادع دولي يوقف "إرهابها وغطرستها ومخططاتها الإجرامية".

وأكدت الحركة بقاء "أرض فلسطين، وفي القلب منها القدس والمسجد الأقصى المبارك"، أرضاً "فلسطينية عربية، لا شرعية ولا سيادة فيها للاحتلال الصهيوني الغاصب".

المقاومة تنفذ عمليات في الضفة

في غضون ذلك أعلنت سرايا القدس، الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، عن تنفيذ سلسلة من العمليات خلال تصديها لاقتحامات "جيش" الاحتلال الصهيوني مدناً وبلدات في الضفة الغربية المحتلة.

وقالت السرايا إنّ مقاتليها في كتيبة طوباس استهدفوا قوة مشاة راجلة بعبوة مضادة للأفراد محلية الصنع في محور وادي تياسير، وتصدوا لقوات الاحتلال المقتحمة للمدينة.

وتمكن مقاتلو السرايا في سرية السيلة الحارثية من تفجير عبوة ناسفة أرضية معدة مسبقاً من نوع "طوفان" بآلية عسكرية في محور الزيود، والتصدي لقوات العدو المقتحمة للبلدة في عدة محاور.

كما تمكن مقاتلو سرية السيلة الحارثية من تفجير عبوة ناسفة موجهة من نوع "سجيل" بآلية عسكرية صهيونية من نوع "نمر" في محور البير، محققين إصابة مباشرة في الآلية المستهدفة، وتصدوا للقوات المقتحمة للبلدة في عدة محاور.

واستهدف المقاتلون في سرية السيلة عينها آلية عسكرية صهيونية من نوع "نمر"، في محور البير الغربي بعبوة ناسفة أرضية من نوع "طوفان"، محققين فيها إصابات مؤكدة.

وفي محور الزيود أيضاً، تصدى المقاتلون بالأسلحة المناسبة لاقتحام قوات الاحتلال في عدة محاور بالبلدة، وتمكنوا من استهداف مسار التعزيزات العسكرية المقتحمة لأحد المحاور بعبوة ناسفة أرضية من نوع "طوفان"، محققين إصابات مباشرة.

يُذكر أنّ "جيش" الاحتلال الصهيوني وجهاز "الشاباك" بدآ عملية واسعة النطاق في شمال الضفة الغربية المحتلة، قبل يومين.

وندّدت قوى المقاومة الفلسطينية بهذه العملية، مؤكّدةً أنّ الشعب الفلسطيني سيتصدّى "بكلّ قوة وصلابة لهذه الجرائم التي يواصل العالم تجاهلها".